اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمود دياب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

مشكلات الفكر المعاصر
في ضوء الإسلام

تأليف
أنور الجندي

السنة الرابعة ـ العدد الحادي والخمسون
غرة جمادى الأولى ١٣٩٢هـ ـ يونية ١٩٧٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم الدكتور مهدى علام ، عضو مجمع البحوث الاسلامية

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، صاحب الشريعة ، وهادى البشرية الى ما فيه خير الدين والدنيا ٠

وبعد فيسرنى أن أستجيب لرغبة الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ، الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية أن أقدم للقراء كتاب :

« مشكلات العصر فى ضوء الاسلام »

للأستاذ أنور الجندى

ولما كان الاسلام أعز ثروة فى أيدينا ، كان لزاما علينا أن نرعاها من الضياع ، وأن نصونها من عوامل الانحلال والهدم التى تسلطها عليها أعداء حاقدون ، أو جهال مستهترون ، أو مخدوعون مستسلمون ٠

وعصرنا الحديث ملىء بالتيارات الفكرية ، والنزعات المذهبية ، التى تنتشر بين ناشئتنا ، ونحتاج الى نظرة فاحصة تميز الخبيث من الطيب ٠ فالاسلام لا يعادى جديدا الا اذا كان ضلالا ، ولا يصد عن تطور الا اذا كان انحدارا ٠

وقد عرض المؤلف فى هذا الكتاب الى المفاهيم المتعددة التى يتكلم عنها دعاتها ، فحددها ، وأبان موقف الاسلام من كل منها • فالاسلام دين الحرية ، ودين العقل ، ودين التطور والتقدم ودين المطولة ، ودين كل قيمة رفيعة أصيلة ، ولكن الاسلام لا ينخدع بكل ما يذكر باسم الحرية ، واسم العقل ، واسم التطور والتقدم، واسم البطوله ، بل لابد من تمييز الحق من الباطل ، والأصيل من الزيف •

ان الحياة حديقة جميله ، ومبادىء الاسلام أجمل أزهارها ، ولكن فى طبيعة النمو النباتى ، وتتعل البذور ، أن تنمو بعض الحسائس الضارة ، وتلتف حول هذه الأزهار • ولابد لهذه الحديقة من بستانى يتعهدها بالرعاية فيستأصل هذه الحشائش ، حتى لا تلتف حول الأزهار فتقتلها أو تضعفها •

والأستاذ أنور الجندى بستانى خبير فى ميدان البحث الدينى والأدبى • ولست أشك فى أن قراء كتابه هذا سيضمون الى استمتاعهم بآرائه ، شعورهم بتقديره والثناء عليه •

فليبارك له الله تعالى فيما كتب ، وليبارك لهم فيما يقرءون •

مهدى علام

مدخل إلى البحث

إن حقائق كثيرة ، ووثائق عديدة ، تكشفت فى السنوات الأخيرة ، لها أثر كبير على كبير من الآراء والنظريات والقضايا التى كانت تعد فى نظر الكثيرين من المسلمات فى مجال الفكر والثقافة والتاريخ ، بينما هى شبهات زائفة صيغت فى صورة براقة خادعة ، فبدت كأنها هى حقائق ، واستمر خداعها زمناً طويلاً ، وكان بعيد الأثر فى تحقيق أهداف التغريب والغزو الثقافى الرامية إلى انتقاص قيمنا وزلزلة الثقة بمفاهيمنا وعقائدنا .

ومن شأن هذه الحقائق أن تدعونا إلى إعادة النظر من جديد فى آفاق الفكر الإسلامى والثقافة العربية ، وموقفها من الفكر الوافد .

ومن أخطر ما تكشف فى سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية تلك المخططات الاستعمارية الصهيونية السرية الرامية إلى تدمير المجتمعات الإنسانية ، وخاصة المجتمع الإسلامى العربى عن طريق طرح عديد من النظريات والمذاهب الوثنية والمادية المتصلة بالنفس

الإنسانية ، والأخلاق والعقائد والتاريخ واللغة ، ومقارنات الأديان والتربية .

وقد قصدت هذه المخططات إلى محاولة تغريب العرب والمسلمين وتفريغ الفكر الإسلامى العربى من مقوماته وقيمه وذاتيته فى بوتقة الفكر العالمى الوثنى المادى ، والعمل على إسقاط الفكر الإسلامى والقيم الإسلامية ، وإحراج المسلمين والعرب من قيمهم ومقدراتهم وتذويبهم فى الأممية والعالمية .

وقد جرى ذلك عن طريق خلق دائرة براقة تحمل لواء ما يسمى بالحرية الفكرية والعصرية ثم عمدت هذه الدعوة إلى إعلاء شأن الماضى الفرعونى والأغريقى والجاهلى العربى ، وإحياء الأساطير وإعادة صياغة الوثنيات والفلسفات السريانية والمجوسية والباطنية ، وإحياء عشتروت وزيوس وباخوس .. إلخ .

ثم عمدت هذه الخطة إلى إخراج التاريخ الإسلامى وبطولاته عن مفاهيمها الإسلامية ، وذلك بالتشكيك فيها أو إخضاعها للمفهوم المأسوى الأغريقى الذى يختلف اختلافاً واضحاً مع مفهوم التوحيد الإسلامى .

ولم يقف الأمر عند هذا ، بل إن هذه الخطة شملت طرح نظريات خطيرة فى مجال العبقرية والأجناس ، وفى مجال علم الدين المقارن ، وفى مجال تزييف الأخلاق والقيم ومفاهيم الحضارة والتاريخ والأدب .

وجرى ذلك كله من خلال نقطة انطلاق واحدة هى [المادية] التى ترفض الأديان والنبوات والرسالات السماوية وتدعو إلى بعث الوثنيات وأفكار العنوصية والأباحية والإلحاد .

* * *

ولقد وضعت هذا المخطط قوى كثيرة ، هى الصهيونية ، والاستعمار ، والمادية ، وهى قوى كلها تجمع على العمل لسحق المسلمين والعرب ، والسيطرة على مقدراتهم وثرواتهم مع الحيلولة بينهم وبين امتلاك إرادتهم أو استعادة قوتهم وذاتيتهم .

وقد انطلقت هذه القوى من نقطة واحدة هى :

إزالة شخصية (عالم العرب والإسلام) وتفريغ ذاتيته وإذابته فى الأممية والعالمية ، واحتواء مفاهيمه وقيمه ، حتى يصبح تابعاً ليس من جهة مقدراته وثروته فحسب ، بل من خلال وجوده وكيانه وشخصيته .

ولقد جرى تنفيذا هذا المخطط منذ وقت بعيد ، وشاركت فيه القوى الاستعمارية والدولية والصهيونية ، واتخذت من التبشير ومعاهد الإرساليات والمحافل الماسونية أداتها ، فقد انبث خريجو هذه المعاهد والمحافل ، فسيطروا على بعض وسائل الصحافة والثقافة والمدرسة واتخذوا منها فى بعض الأقطار أداة على تغيير فكر هذه الأمة وتزييف مضامينه وبعث الفلسفة الماسونية المادية التى تستهدف تدمير القيم والأخلاق والأديان وطرح عشرات من الشبهات والأشواك والأخطاء أمام المثقفين .

وقد استطاعت سموم هذه الشبهات أن تسرى فى النفوس والعقول — آنذاك — لأن الاستعمار قد فسح لها الطريق ، حين عمل على تحطيم الحصانة النفسية والروحية التى كانت تحمى النفس العربية الإسلامية من الغزو — حين ألغى دراسة الإسلام والعربية والقرآن من مناهج التعليم المفروضة ، والتى كانت جميعها أو أغلبها تدرس بلغة المستعمر : الانجليزية ؛ فى مصر والسودان وفلسطين والعراق — والفرنسية : فى المغرب كله وسوريا ولبنان .

فقد استطاعت قوى الاستعمار حين سيطرت على مناهج التعليم

أن تفرغها من مفاهيم الإسلام الصحيحة ، وأن تباعد بين الشباب المتعلم وبين منهج القرآن الفكرى والتربوى والاجتماعى ، ثم حولت مفهوم الإسلام إلى مفهوم لاهوتى قاصر لا يمثل عظمة الإسلام الجامع (ديناً ونظام مجتمع) .

ومن ثم دخلت مفاهيم الإسلام زيوف كثيرة ، واختلطت بمفاهيم الوثنية والماديه والأديان الوضعية غير السماوية ، التى خرجت عن التوحيد والتقوى .

* * *

لقد كان الإسلام فى ذاته يحمل من الأصالة ما يجعل فكره متميزاً عن فكر أى أمة أخرى ، هذه الأصالة التى استمدها من وحى السماء ورسالة النبوة وكلمات الله المنزلة .

ولقد كانت نقطة البدء فى هذا المخطط كله كلمة واحدة : هى إخراج المسلمين والعرب من مقومات فكرهم ، هذه المقومات التى أمدتهم فى كل أزمة وماتزال وستظل تمدهم ، بالقوة والصلابة والصمود فى وجه كل غزو وإزاء كل قوة خارجية .

وما دام المسلمون والعرب مستمسكين بمقومات فكرهم التى

استمدوها من القرآن أساساً ، فإن أى قوة غارية أو مسيطرة تعجز — كما عجزت مرات على طوال التاريخ الإسلامى — عن أن تقف فى وجههم ، وإنهم إذا عادوا إلى مصادرهم ومنابعهم فإنهم سيكونون قادرين على الصمود فى وجه أعتى قوى الأرض ، ومواجهتها وسحقها .

ولذلك فإن العمل الخطير — فى تقدير حركة التغريب — هو تزييف هذه المقومات وإشاعة الشبهات حولها ، ومسخها وضربها بمفاهيم أخرى على سبيل خلق الشكوك والريب ، وكذلك إفساد المصادر نفسها بالإسرائيليات القديمة والجديدة ، وإفساد القائمين على هذا الفكر بالتبعية والولاء والطموح إلى المناصب والثراء ، وإفساد من تلقى إليهم بتفريغ مناهجهم المدرسية من (روح الإسلام) .

* * *

ومن ثم يصبح ما يتبقى من مظاهر الإسلام كدين لاهوتى بدون قيمة حقيقية ولا قدرة له على التصحيح ، ومن ثم فهى لن تحمى هذه النفوس والعقول من أهواء المغريات التى يطرحها بريق الحضارة تحت الأضواء وحول النار ، نار الشهوات واللذات والمتع

والمغريات مع سريان مذاهب الإباحة والإلحاد ، وتشبع الثقافات بها ، وترويج القصص الجنسية لها .

ومن شأن وسائل الإغراء بالصورة العارية والكلمة المكشوفة ، أن تقدم فى هذا المجال ما لا يدع للنفس العربية الإسلامية ولا للعقل العربى الإسلامى مجالا للبحث عن قيم الأخلاق والإيمان والتوحيد ، ظنا منهم أنها ستدوب كلها تحت ضربات معاول الهدم الصارمة ذلك هو لُبّ المخطط الخطير الذى فرضته القوى الاستعمارية الصهيونية على عالم العرب والإسلام ، واستطاعت خلال خمسين عاما أن تغرقها فيه إغراقاً ، بينما زحفت قوى الغزو الصهيونى واستطاعت فى غفلة مؤقتة أن تسيطر على فلسطين ، فالقدس .

وإن أخطر ما يواجه العرب والمسلمين اليوم إنهم قد يتحركون من داخل دائرة الفكر الذى فرضه عليهم النفوذ التغريبي الخطير ، ولذلك فإن أول علامات اليقظة والمقاومة هى التحرر من مقاييس التغريب ومذاهبه والمفاهيم التى حاول أن يفرضها — وهى زائفة أصلا — من أجل تدمير النفس العربية الإسلامية ، واحتواء العقل العربى الإسلامى .

إن أول علامات اليقظة أن نكتشف هذا المخطط وأن نعيد النظر فى المفاهيم الخاطئة والمصطلحات المنحرفة والشبهات المطروحة (وهذا ما سنحاوله فى هذه الدراسة) ذلك أن أصالة الذاتية العربية الإسلامية الجذور ، الصلبة المؤمنة تتمثل فى أنها لم تستسلم أبداً ، وأن هناك ضوء كاشفا أخذ يدحض هذه الشبهات وهو ضوء قد امتد على الزمن ولم يتوقف ولم ينقطع ، استيقظ قبل الغزو الاستعمارى وما تزال الأحداث تمده بالقدرة على المقاومة ، ولقد كانت أزمة ١٩٦٧ واحتلال القدس عاملا هاماً فى التفاته إلى الحقيقة التى ليس بعدها حق ، التفاته إلى المصادر الأصيلة لوجوده وكيانه وحياته ، فقد كشفت له الأحداث والتجارب أن بلسم جراحه ، وضياء روحه لن يكون إلا من داخله ، لن يصل إليه عن مصدر آخر غير المصدر الأول ، الذى تشكل منه عندما بزغ ضوء الإسلام ، وأن آية النصر ما زالت هى الاستمداد من المنابع الأصيلة ، وأن أمة ما لن تستطيع أن تعود إلى الحياة ، ولا أن تصمد فى وجه الغزاة إلا إذا التمست الضياء من أعماقها ، من داخلها ، من كنزها المدخر ، الذى إن زهدت فيه حيناً وتطلعت إلى ما فى أيدى الآخرين ، فإنها

قد آمنت أخيراً بعد الصدمات والتضحيات أنه لا سبيل أمامها إلا التماس المنابع الغنية والمصادر الثرة التى كونت الذاتية الإسلامية العربية وشكلتها أول مرة ، ووضعت لها مقومات حياتها وقوتها وانبعاثها مرة أخرى كلما ألمت بها الأحداث وادلهمت حولها الخطوب إن المصدر الحقيقى هو « القرآن » ونقطة البدء هى « التوحيد » ، وفى هذا الضوء ننظر فى هذه الشبهات التى طرحها التغريب ، ونعيد النظر فى هذه القضايا والنظريات .

* * *

ونحن نذكر هنا جيداً كيف قام كفاح المسلمين ، فلم يتوقف لتحرير الفكر الإسلامى من هيمنة الثقافة والعقلية التى سلطها عليه الفرس واليونان والهنود ، كان إيمانهم بإبتعاث شخصيتهم الإسلامية العربية ، والحيلولة دون أن تذوب وتتلاشى ، هو مصدر كل نصر وقوة وحياة .

إن المحاولات الدائمة لإخراجنا من إطار فكرنا الإسلامى العربى لم يتوقف منذ أكثر من خمسين عاماً ، وهى تتشكل كل يوم فى صورة أو أخرى ، حمل لواءها الاستعمار والتبشير

والاستشراق والشعوبية والتغريب والغزو الثقافى ، وحاولت انتهاز كل نكبة أو نكسة لتجديد دعوتها المسمومة التى تحاول أن تلقى أمتنا فى تيه مظلم لا ضياء معه ، ولا نور حين تدعونا أن نتحرر من كل المقدسات والقيم ، وأن نتخلص من الماضى كله وأن نزدرى العقائد ومفاهيم الأديان السماوية ، وتعمل على دفع النفس العربية الإسلامية عن الخروج عن ذاتيتها ومزاجها النفسى بخروجها عن الأخلاق والإيمان والتوحيد .

ولقد جرت منذ نكسة ١٩٦٧ أقلام كثيرة بكلمات ماكرة ، تبعث اليأس وتدعو إلى الخروج عن القيم والأديان وتزدرى التاريخ والتراث والشريعة واللغة ، وهى دعوات باطلة لأنها تصدر ممن لا يؤمنون بهذه الأمة ولا يريدون لها الخير .

ولقد طرحت هذه الدعوات أفكاراً ومذاهب وآراء أثارت الشبهات فى صدور بعض شبابنا وعقولهم ، فحق لأداة التصحيح أن تظهر ضياء الحقيقة ، وأصبح ضروريا أن تحرر القيم وتصحح المفاهيم ، وتكشف البواعث والغايات التى تكمن وراء هذه الشبهات المسمومة .

* * *

إن الهدف هو « تغريب الفكر الإسلامى » ووضعه فى قيود الوثنية والمادية والإلحاد والإباحيه .

ولكن الفكر الإسلامى صاحب الأصالة المستمدة من جوهره الناصع القرآنى ، ومن ماضيه الطويل وجذوره العميقة الثابتة قادر على أن يدفع عن نفسه هذه الموجة الطاغية كما دفع الموجات المتوالية السابقة وانتصر عليها ، ذلك لأنه يستمد من معين التوحيد ومن الحق ومن الفطرة ومن القرآن الذى يفرق بين الحق والباطل ، والذى نزل للإنسانية هاديا فى حيرتها ، فقد جاء القرآن تصحيحاً لكل المفاهيم والمذاهب والدعوات التى حرفت مفهوم الرسالة السماوية الحقة، التى جاءت على أيدى رسل الله ، فكشف عن كل عوامل التحريف ووضع لنا القواعد التى لاتبلى فى مواجهة أخطار التغريب والتزييف ، لقد أقام الإسلام عالما من الحق والإيمان فى مواجهة عالم الباطل فحق عليه أن يجالد أخطار الوثنية والإلحاد ولا يتوقف عن المجالدة على مدى الزمن صامداً قادراً مستمداً أسانيده وحججه من ذلك المعين الصادق .

لقد جاء الإسلام بعد أن تشكلت للوثنية المادية فلسفة ومناهج

ومذاهب كشف عنها القرآن وزيفها وأبان وجه الحق فيها ، وما تزال موجة الوثنية تقوم فى غيبة الحق وتعلو وتنشر جناحها ، ثم يجيء المصلحون الأبرار من علماء المسلمين فيكشفون الزيف ويردون الحق إلى نصابه .

ونحن الآن نعيش فى موجة ضارية من هذه الموجات استطاعت أن تلبس لباس العلم والفلسفة وأن تقيم باطلها على أساليب براقة خادعة فى عالم اضطربت مقاييسه ونظمه ، فحق على المسلمين وفرض عليهم أن يتقدموا ويحملوا مشعل التوحيد والإيمان لتحرير المناهج وتصحيح الآراء ، ليحق الله الحق ويبطل الباطل ، ويتم الله نوره ويعلى عالمه ويذل عالم الوثنية المادية .

وإذا بدا أن المادية والوثنية مسيطرة اليوم فإنما هى جولة من جولات الباطل ثم ينكشف الحق واضحاً والحق ظاهراً .

(ويريد الله أن يحق الحق بكلماته)

إن أهم أهداف الفكر الإسلامى فى العصر الحاضر وكبرى تحدياته هى :

تصحيح المصطلحات ، وتحرير القيم من مفاهيم وافدة أو زائفة تريد أن تحل محل المفاهيم الأصيلة ، وسنة مخططات التغريب ترمى إلى إحلال « مفاهيم دخيلة » بدلا من « المفاهيم الأصيلة » التى يراد إبعادها عن مجال الحياة والفكر .

ذلك أن أولى مهام الغزو الثقافى هو تزييف الحقائق وتمويهها وإفساد مضامينها ولذلك كانت صيحة حركة اليقظة منذ أكثر من مائة عام هى المناداة بالتماس الأصول والمنابع ، وأن لانمتص أى شىء قبل عرضه على مقاييس فكرنا ، ولقد كان المسلمون والعرب على مدى التاريخ ، كلما تدلهم الأحداث وتحيط بهم أزمات الغزو الخارجى يتنادون بالعودة إلى المنابع ، فالتماس المنابع هو الأصالة وهو الضوء الحقيقى الهادى إلى الطريق ، دون شك أو ريب ، دون خوف أو تردد .

[تركت فيكم أمرين ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنتى] .

لقد طرحت فى السنوات الأخيرة « مفاهيم » جديدة وافدة لقيم عالمية ، وجرت محاولات لتصوير هذه المفاهيم بصورة علمية لها بريق متوهج وطابع لامع . وذلك فى محاولة لإحلالها فى مكان مفاهيمنا الأصيلة لتلك القيم . ولقد بدا بعدوقت ليس بالقصير [عدم تقبل] الذاتية العربية الإسلامية والمزاج النفسى للعرب والمسلمين لهذه المفاهيم الوافدة مهما بدا من بريقها وازدهارها .

* * *

وقد اتصلت هذه المفاهيم بكثير من قضايا الفكر وخاصة منها نظريات التطور ، والحرية ، والعقلانية ومفهوم القيم والتقدم والتجديد والأصالة ، وعلاقة مناهج العلوم بالإنسانيات والمجتمع .

كما اتصل ذلك بمفاهيم البطولة والنبوة ، ومفاهيم المأساة والتراجيديا والفن ، واتجه أكثر الحديث نحو الشباب فيما يتصل بلقاء الأجيال أو صراعها ، وفيما يتعلق بالأساطير والأدب ومفهوم الحضارة ، وامتد إلى ما يتصل بالترجمة وبالمصطلحات المتعددة كالضمير والنرفانا وغيرها .

وتشكل هذه المجموعة من المفاهيم قضية واحدة تتفرع إلى قضايا ، ويمكن أن يطلق عليها جميعا « قضية تصحيح المفاهيم » وتحرير القيم والكشف عن أخطاء المصطلحات .

ونحن أمام هذه المفاهيم على رأى واضح محدد :

هو أن لكل قيمة من القيم مفاهيم مختلفة ونظريات متعددة تختلف باختلاف الأمم والشعوب التى تستمد مفاهيمها من تراث طويل قوامه عقائد وتاريخ ولغة ومزاج نفسى .

هذا فضلا عن أن ما يقدم لنا ليس حقيقة علمية أو مفهوما عالميا مقررا يمكن تطبيقه على النفس الإنسانية عامة ، أو على المجتمعات قاطبة ، وما من قضية تطرح فى مختلف مجالات الفكر والعقائد والثقافة إلا ولنا « نحن المسلمين » نظرية أصيلة فيها ومفهوم شامل ، ومنهج متكامل ، وما من جديد يمكن أن يقال إلا ويجب النظر فيه فى ضوء مقاييسنا وقيمنا ، ولقد كانت النظرة الإسلامية هادية للبشرية كلها منذ أن فجرت طاقاتها قبل خمسة عشر قرنا لأنها استمدت مفهوم قيمها من مصدر واحد هو الفطرة الإنسانية القائمة على التوحيد والإيمان بالله والتى اتخذت من الالتزام الخلقى قاعدة لحركتها .

لقد قدم الإسلام للبشرية منهجاً متكاملا للفكر والحياة والمجتمع والحضارة ، وهو منهج تطبيقى عملى وليس منهجاً نظرياً أو مثالياً ، هو منهج القرآن القائم على الأصالة والربانية والحق .